القوانين الكولونيالية واللغة العربية في الجزائر
(رينيه1933،ميشال1935 و شوطان1938 أنموذجا)

Colonial laws and the Arabic language in Algeria
(Renee 1933, Michel 1935 and String 1938 as a model)

د.سبيحي عائشة[1]

[1] **المركز الجامعي عبدالله مرسلي تيبازة**sbihiaicha1@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/12/24 تاريخ القبول:22/ 2021/05 تاريخ النشر: 28/ 2021/05

ملخص:

يعالج المقال جوانب من سياسة فرنسا الاستعمارية في شقها القانوني المنتهجة الشعب الجزائري خلال ثلاثينيات القرن 20م،و المتمثلة أساسا في تكريسها لترسانة من القوانين لتبرير أعمالها الإجرامية في حق الهوية الوطنية للشعب الجزائري،لمسخه حضاريا و من ثمة فرنسة الجزائر في كل مجالات الحياة و دمجها في وطن الأم فرنسا.

و لعلى أخطر هذه القوانين التعسفية التي فرضت جبرا على الجزائريين هي: منشور ميشال1933، قرار رينيه 1935و قانون شوطان1938،التي استهدف النشاط الإصلاحي الديني و الثقافي لمصلحي الجزائر و علمائها بصفة عامة و اللغة العربية بصفة خاصة باعتبارها ثاني مقوم أساسي للهوية الوطنية بعد الإسلام و كعنصر فعال للتماسك الاجتماعي للجزائريين و رمز وحدتهم الوطنية،و كلغة القرآن التي كثيرا ما ظل العدو يخشى من دورها في تأجيج الوعي الوطني الثوري،بتوظيفها في مجال الدعوة للجهاد و الثورة على الوجود الاستعماري بالجزائري،لذلك صمم العدو على القضاء عليها، و كانت القوانين المذكور سلفا جزءا من مخططه الممنهج لقتل هذه اللغة و تحقيق أهدافه في مجال الفرنسة و الإدماج.خلفت هذه القوانين ردود فعل وطنية قوية تمثلت في الاحتجاجات و المظاهرات الشعبية التي عبر من خلالها الجزائريون عن تمسكهم بلغتهم و ثقافتهم الوطنية ككل ،كما قامت كلا من النخبة

الإصلاحية و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بدورها في المقاومة الثقافية لهذه القوانين و الدفاع و الحفاظ على الهوية الوطنية .
الكلمات المفتاحية: سياسة فرنسا الاستعمارية ،القوانين الكولونيالية،منشور ميشال 1933،قراررينيه1935،قرار شوطان1938

Abstract: *The article deals with aspects of France's colonial policy in its legal aspect adopted by the Algerian people during the thirties of the twentieth century AD, mainly represented in its consecration of an arsenal of laws to justify its criminal acts against the national identity of the Algerian people, for its cultural distortion, and from there the French in all areas of life and its incorporation into Motherland France.*

And the most dangerous of these arbitrary laws that were imposed on Algerians are: Michel Circular 1933, René's Decree 1935 and the Shatan Law 1938, which targeted the religious and cultural reform activity of Algeria's reformers and scholars in general and the Arabic language in particular as it is the second basic component of national identity after Islam and as an element. Effective for the social cohesion of Algerians and the symbol of their national unity, and as the language of the Qur'an, which the enemy often kept fearful of its role in fueling revolutionary national consciousness, by employing it in the field of calling for jihad and revolution over the colonial presence in Algeria, so the enemy was determined to eliminate it, and the aforementioned laws were Part of his systematic plan to kill this language and achieve his goals in the field of French and integration. These laws left strong national reactions represented in the popular protests and demonstrations through which the Algerians expressed their adherence

to their language and national culture as a whole, as both the reformist elite and the Association Algerian Muslim scholars, in turn, in the cultural resistance to these laws, defense and preservation of the national identity

Keywords: *France's Colonial Policy, Colonial Laws, Michel Circular 1933, Rene Decision 1935, Schottmann Decision 1938*

د.سبيحي عائشة: sbihiaicha1@gmail.com

مقدمة :

تجسيدا لمشروعها الإستعماري الإستيطاني الصليبي، وظفت فرنسا مخططات ممنهجة لطمس المكونات الأساسية لهوية الشعب الجزائري الوطنية، و على رأسها اللغة العربية، التي رأت فيها العقبة الكأداء التي تقف في وجه سياسة المسخ الحضارية الاستعمارية ،لذلك لم يتوان المحتل منذ أن وطأت أقدامه أرض الجزائر سنة 1830 في محاربة لغة القرآن،و العمل على إحلال اللغة الفرنسية محلها باعتبارها أنجع وسيلة لفرنسة الجزائر.

و برر عمله الإجرامي هذا بإصدار ترسانة من القوانين التعسفية صبت كلها في فكرة دمج الجزائر قانونيا و ثقافيا و عقائديا في فرنسا طوال القرن 19م، وواصل سياسته الاستدمارية في مطلع القرن 20 بالرغم من احتجاجات و شكاوي النخبة الإصلاحية و الحركة الوطنية بصفة عامة. و لعل من أخطر هذه القوانين : منشورميشال1933،قراررينيه1935، و قرارشوطان 1938،اللائي ستكون محور دراستنا هذه.

فما هي الظروف المحيطة بصدور هذه القوانين ؟،و ماهي أهداف فرنسا من وراء تشريعها؟، و فيم تكمن مخاطرها على اللغة العربية؟و ما مدى مشروعيتها القانونية؟ و ما موقف النخبة الإصلاحية الوطنية منها؟

للاجابة عن هذه الإشكاليات تم معالجة الموضوع في محورين رئيسيين،فالأول تطرقنا فيه إلى ماهية هذه القوانين من حيث الظروف المحيطة بصدورها، و مضامينها و تداعياتها على اللغة العربية،بينما عالجنا في المحور الثاني ردود الفعل الوطنية حيال هذه القوانين،متبعين في دراستنا هذه المنهجين الوصفي و التحليلي.

1- القوانين الكولونيالية في استهداف اللغة العربية:

تجدر الإشارة إلى أن الإستعمار الفرنسي لم يكن غزوا عسكريا ماديا للجزائر بقدر ما كان غزوا ثقافيا و دينيا و حضاريا،فمنذ سقوط العاصمة في جويلية 1830،عمد إلى طمس كل ما يرمز للشخصية الوطنية من عادات و تقاليد و دين إسلامي و لغة عربية،حيث قام في هذا الصدد بهدم مئات المساجد و حول العديد منها إلى مستشفيات و كنائس و مقرات أمنية (1)،كما شمل موقفه المتطرف هذا العديد من مدارس التعليم العربي و المكتبات التي اشتهرت بها الجزائر قبل هذا التاريخ(2) ،و صادر الأوقاف الإسلامية الممول الرئيسي للتعليم العربي خاصة و الثقافة الوطنية عامة(3)،و ازدادت جرائم المستدمر الفرنسي في هذا المجال بمرور الوقت،سيما إزاء اللغة العربية من خلال اعتبارها لغة ميتة لا يجوز تطويرها،و استهدفها بعدة قوانين عنصرية طوال القرن 19م و إلى غاية بداية القرن 20، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: قانون الأهالي 1881 (4)، وقانون1892 (5).و قانون 1904 الجائر في حق هذه اللغة(6).

استمر المحتل الفرنسي خلال ثلاثينيات القرن الماضي في موقفه المتطرف إزاء لغة القرآن باعتبارها الدرع الحصين للثقافة الوطنية ووحدة الشعب الجزائري و تماسكه و تلاحمه ووعيه الوطني و هذا ما كانت تخشاه الإدارة الاستعمارية (7)،سيما و أن هذه الفترة شهدت فيها الجزائر انبعاثا ثقافيا و حضاريا ذو طابع عربي و إسلامي قامت بإحيائه النخبة الإصلاحية الجزائرية، أعاد الاعتبار بالدرجة الأولى لهذه اللغة التي تفنن العدو في إقصائها (8).فكيف تعاملت الإدارة الاستعمارية قانونيا مع هذا الوضع الثقافي الجديد للجزائريين؟

1.2.منشور ميشال1933م و تداعياته:

تميزت الظروف المحلية المحيطة بصدور هذا المنشور بقيام النخبة الإصلاحية الجزائرية عامة و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بصفة خاصة

بنشاط ثقافي متنوع مثل مكسبا هاما للغة العربية،تمثل في الاهتمام بالتعليم العربي الحر و العمل على ترقيته و تعميمه في مختلف أرجاء البلاد، و إنشاء مدارس حرة، و العناية كذلك بالتعليم المسجدي لتحصين الناشئة الجزائرية المسلمة من مخاطر التعليم الحكومي الإستعماري(9)،كما ارتكز هذا النشاط على إصدار الصحف باللغة العربية كوسيلة للتنوير و التوعية لمواجهة سموم الصحافة الاستعمارية التي احتكرت الساحة الإعلامية بالجزائر طوال القرن 19م،و ما كانت تقوم به من دعاية جائرة لصالح الاستعمار و تثبيط عزائم الجزائريين و قتل روح المقاومة في نفوسهم(10)،لذلك كان لزاما على النخبة الجزائرية تأسيس صحافة جزائرية بحتة تحت إشرافهم و بتمويلهم الخاص للحيلولة دون خضوعهم لمساومة الإدارة الإستعمارية، و من ثمة الحفاظ على نزعتها الوطنية و التحررية ، نذكر من بين هذه الصحف الناطقة باللغة العربية التي أدت دورا بارزا في المقاومة الثقافية الوطنية لسياسة فرنسا الإستعمارية:صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مثل:السنة النبوية(1933)،الصراط السوي(1933)،والشريعة(1933) ،و استمرار صحيفة الشهاب(1925-1939) لشيخ المصلحين الجزائريين عبد الحميد بن باديس(1889-1940) في الصدور، وصحف العلامة الشيخ إبراهيم أبي اليقظان(1883-1973): مثل ميزاب(1930)، و المغرب(1930-1931)، و النور(1931-1933) و الأمة(1933-1938) (11).

هذا النشاط الذي تجاوب معه الجزائريون أربك الإدارة الاستعمارية و دفع بها إلى اتخاذ التدابير اللازمة للقضاء عليه، و عمدت في الأساس إلى استهداف اللغة العربية عن طريق العمل على تمزيق صف علماء الجزائر و تشتيت أفكارهم الإصلاحية و إضعاف اللغة العربية بطريقة أو بأخرى، و ذلك بواسطة تشجيع إنشاء جمعية ((علماء السنة)) سنة 1932، كحركة مناوئة لجمعية

العلماء المسلمين الجزائريين و توجهاتها الإصلاحية الدينية، لذلك ظل التنافر و الصراع بينهما قائما(12).

و تكملة لهذا المخطط الإستدماري الممنهج قام ميشال(الكاتب العام لولاية الجزائر) في 18 فيفري 1933 بالتوقيع على منشورين تضمنا تعليمات إدارية "موجهة إلى رجال الأمن و الإدارة الفرنسية في شتى النواحي لمراقبة العلماء ،و التضييق عليهم، و منعهم من أداء مهمتهم الدينية، و من تعليم اللغة العربية بدعوى أنهم يبثون المباديء الوهابية و المذهب الشيوعي، و أنهم يقومون بأعمال مضادة للوجود الفرنسي في قفاز الدول الأجنبية" (13).

كما تضمنت هذه التعليمات ضرورة المراقبة الصارمة لنشاط علماء الجزائر، و إبعادهم عن القيام بدروس الوعظ و الإرشاد في المساجد الرسمية الخاضعة لتوجيهات الإدارة الاستعمارية،و تطبيق الحضر عليهم في مجال فتح المدارس الحرة و تعليم اللغة العربية (14).

فما هي التداعيات الأخرى لهذا القانون على اللغة العربية و الثقافة الجزائرية ككل؟

تم بموجب منشور ميشال غلق المدارس العربية الحرة و تغريم و اضطهاد أساتذتها (15)،وتعطيل الصحف العربية التي كانت تحت إشراف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،مثل(السنة النبوية) في جويلية 1933، (الشريعة النبوية) في أوت 1933،و(الصراط السوي) في جانفي 1934(16)،و تقويض نشاطها التعليمي بغلق مدارسها للحد من انتشار التعليم العربي الحر عبر أرجاء الوطن بسبب دوره في بلورة الوعي الوطني (17)،لذلك اعتبرت الصحافة الإصلاحية و الوطنية،سيما المكتوبة باللغة العربية، صحافة أجنبية فاقدة لقانون الحرية المعمول به في المتروبول،و تجسيدا لذلك عطلت العديد من الصحف الوطنية،نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ،صحف المجاهد الإعلامي

إبراهيم أبو اليقظان مثل:(النور) في ماي 1933 و (البستان) في جويلية 1933 و(النبراس) في أوت 1933 ،بسبب نزعتها الوطنية و لشدة لهجتها،و مناهضتها لسياسة الفرنسة و الإدماج(18)، و لكونها عربية اللسان تحمل في طياتها تعبيرا مباشرا عن الهوية الوطنية(19).، و على عكس من ذلك استمرت الصحف الجزائرية المعتدلة اللهجة و المهادنة للإستعمار في الصدور دون أن تتعرض للمضايقة، مثل:جريدة النجاح(1919-1956)،و صحف الطرق الصوفية و على رأسها البلاغ الجزائري(1926-1947) و لسان الدين(1923-1939) (20). كما تمتعت صحافة المستوطنين الصادرة بالجزائر بكل الحريات و الامتيازات لتأدية دورها الخطير في مجال الدعاية خدمة للإستعمار و تعزيز وجوده بالجزائر(21).

و تسبب هذا المنشور أيضا في اضطراب الوضع السياسي و الأمني للجزائر،حيث كثرت شكاوى و احتجاجات الجزائريين الذين عبروا من خلالها عن شجبهم لهذا القانون و تمسكهم بثقافتهم الوطنية و هويتهم الحضارية العربية و الإسلامية(22).

2-2-قرار رينيه1935م و تداعياته:

صدر هذا القانون في ظل ظروف صعبة كانت تمر بها البلاد جراء الإنعكاسات الخطيرة التي أفرزها منشورميشال على الوضع الثقافي و السياسي للجزائريين،الذين لم يتوانوا في التعبير عن استنكارهم لهذا المنشور عن طريق الاحتجاجات و العرائض(23). وازداد الوضع الأمني للبلاد خطورة بسبب حوادث قسنطينة الدامية التي نشبت بين مسلمي و يهود المدينة سنة 1934 و ما أسفرت عنه من تداعيات خطيرة على الوضع الأمني للبلاد عامة و على العلاقات بين طرفي النزاع خاصة(24)

حاول وزير داخلية فرنسا السيد رينيه معالجة هذا الوضع الخطير الذي آلت إليه الجزائر باتخاذ التدابير الحازمة،فأقدم على زيارة البلاد في سنة 1935، لتقصي الحقائق المرتبطة بالاضطرابات و الأحداث التي عرفتها و الظروف الصعبة التي كانت تمر بها(25).

و في الوقت الذي كان فيه الجزائريون يعولون كثيرا على زيارة هذا الأخير لتخليصهم من القوانين الإستعمارية التعسفية و تحسين أوضاعهم العامة(26)،تفاجأوا بإصداره قرارا عرف باسمه في 30 مارس من نفس السنة،تضمنت المادة الأولى منه: «كل شخص،سواء كان من المستعمرات الفرنسية، أو من المحميات، أو من الأجانب المقيمين في الجزائر،يثير الشغب في أي مكان و بأية وسيلة، ضد السيادة الفرنسية بإحداث الفوضى أو المظاهرات ،أو يقوم بمقاومة إيجابية أو سلبية ضد تطبيق القوانين و المراسيم و التنظيمات و أوامر السلطات العامة تسلط عليه عقوبة تتراوح بين ثلاثة أشهر و عامين سجنا ،و بين خمسمائة و خمسة آلاف فرنك فرنسي غرامة» (27).

يتضح من خلال ما جاء في نص هذه المادة أن القرار جاء مرة أخرى لترهيب الجزائريين و من ثمة قتل روح المقاومة في نفوسهم، للحيلولة دون القيام بأي نشاط سياسي و ثقافي مضاد لسياسة فرنسا الإستعمارية،و هو بذلك استهدف للثقافة الوطنية عامة و اللغة العربية خاصة بطريقة أو بأخرى، تدعيم لمنشور ميشال التعسفي علنية.

2-3-قرار شوطان 1938م و تداعياته :

واصلت الإدارة الاستعمارية حملتها الشرسة ضد اللغة العربية و التعليم العربي الحر،عن طريق تقويض نشاط علماء الجزائر عامة و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خاصة،مبررة عملها الإجرامي هذا بحجة أن هذه الفئة تبنت أفكارا معارضة للوجود الاستعماري في الجزائر بحكم ايديولوجيتها

العربية و الإسلامية التي تلقتها أثناء دراستها خارج الجزائر(28)،حيث قام في هذا الصدد شوطان وزير داخلية فرنسا بإصدار قراره المشهور في 8مارس 1938 المتضمن فرض عقوبات على الجزائريين الذين يقومون بممارسة التعليم العربي الحر دون ترخيص من السلطات الإستعمارية(29)،التي لم تكن تتساهل في منحه لاسيما بالنسبة للمعلمين الأحرار(30)،ونص هذا القرار أيضا على ضرورة تضييق الخناق على الهجرة الجزائرية نحو فرنسا و ذلك بوضع شروط تعجيزية على رأسها حيازة بطاقة الخدمة العسكرية(31).

و قد فضح عبد الحميد بن باديس هذا القانون و شجبه لاستهدافه علماء الجزائر و معلميها و لغة القران و الدين الإسلامي بقوله «...استصدروا هذا القانون:قانون العقاب الرهيب.لقد فهمت الأمة من المعلمين المقصودين فهم معلمو القرآن و الإسلام، و لغة القران،لأنهم هم الذين عرفت الأمة كلها ما يلقون من معارضة و مناهضة و ما يجدونه من مقاومة و محاكمة بينما غيرهم من معلمي اللغات و الأديان و المروجين للنصرانية في السهول و الصحاري و الجبال بين أبناء و بنات الإسلام في مأمن و أمان بل تأييد بالقوة و المال» (32).

وازدادت غطرسة الإدارة الاستعمارية إزاء اللغة العربية عشية الحرب العالمية الثانية بإصدار قانون آخر سنة 1939 استهدف المطبوعات العربية لاسيما الصحافة الناطقة باللغة العربية ذات النزعة الإسلامية و الوطنية،حيث أخضعها لمراقبة الإدارة ،التي منحها كافة الصلاحيات لتوقيف و مصادرة الصحف ذات اللسان العربي(33)، وهذا خشية من تأثيرها على الجزائريين(الرأي العام الجزائري) الذين رفضوا تأييد فرنسا في الحرب و دعمها،لذلك تسبب هذا القانون في توقف و توقيف جل الصحف العربية الإصلاحية والوطنية مع اندلاع الحرب العالمية الثانية(34).

انتقد الأستاذ و الباحث الجزائري عمار هلال(رحمه الله) سياسة فرنسا المفروضة على الشعب الجزائري خلال هذه الفترة بقوله: «...أن فرنسا تجاهلت إطلاقا مطالب الشعب الجزائري في المحافظة على وطنيته و لغته،و لجأت باستمرار إلى الإضطهاد و التهديد و القوة طبقا للمبدأ القائل: العربي لا يخضع إلا للقوة... » (35).

3-رد الفعل الوطني حيال هذه القوانين:

احتج الجزائريون بشدة على هذه القوانين المهددة لهويتهم الحضارية، على غرار ما حدث في سنة 1933 ، حيث تصدوا لمنشور ميشال بالمظاهرات و إثارة الاضطرابات بمدينة الجزائر،و اسمعوا الوالي العام للجزائر مظالمهم و طالبوه باحترام حريتهم الدينية و التعليمية،و عرفت قسنطينة هي الأخرى احتجاجات شعبية مماثلة على هذا القانون،لكن سلطات الاحتلال لم تتردد في استعمال القوة ضد الجزائريين الساخطين على سياستها (36).

و بدورها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين استنكرت قانون شوطان1938،الذي انتقده رئيسها عبد الحميد بن باديس بشدة من خلال المقال الذي نشره في هذا التاريخ بجريدة البصائر(لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، تحت عنوان«يا لله الإسلام و العربية في الجزائر، و كل من يعلم بلا رخصة يغرم، ثم يغرم و يسجن» (37)، و قام هذا الأخير برفع احتجاج آخر الجمعية إلى الحاكم العام للجزائر، طالبه من خلاله برفع القيود الجائرة على اللغة العربية و التعليم العربي الحر التي جاءت في هذا القانون (38).

و قام ابن باديس مرة اخرى برفع احتجاج للجمعية إلى النواب الجزائريين بالعمالات الثلاث(الجزائر، قسنطينة،و وهران) مطالبا إياهم بضرورة اتخاذ موقف موحد رافض لهذا القانون من أجل الحفاظ على هوية الجزائر الحضارية العربية و الإسلامية، نقتطف ما جاء فيه ما يلي: «..إن قرار8مارس تكميل لما

قبله و نذير لما بعده، و إننا إذا ضمناه إلى ما تعودناه من الحكومة الجزائرية من رفض الرخص تكون النتيجة إعدام التعليم الديني العربي ،لأن طالب الرخصة لا يجاب و المعلم بدون رخصة يحل به العقاب.إن الجمعية يأبى لها الواجب أن تسكت عن القرار و سوابقه و هي تدعوكم إلى القيام بواجبكم في هذه المسألة، و إلى وضع يدكم في يدها لمقاومة هذا القرار الجائر و أصوله بالطرق المشروعة، و تعلن صراحة أن المحافظة على دين الأمة و لغتها من أول واجبكم، و أن الدفاع عنها ليس من خصائص جمعية العلماء بل حق على الجميع ،لأن الدين دين الجميع و اللغة لغة الجميع... » (39).

كما وظفت النخبة الإصلاحية الجزائرية سلاح الإعلام لمقاومة سياسة الفرنسة، وتنبيه الجزائريين إلى مخططات العدو المستهدفة للغة العربية، و دعوتهم للتمسك بها باعتبارها مكون أساسي لهويتهم الوطنية ،على غرار المقالات المؤثرة التي كان ينشرها ابن باديس في صحيفته الشهاب(1925-1939) الإصلاحية التي تصدى من خلالها لسياسة فرنسا الإدماجية،و دافع عن الهوية الحضارية العربية و الإسلامية للجزائر، نذكر ما جاء في إحداها ما يلي«...إننا نحن فتشنا في صحف التاريخ و فتشنا في الحالة الحاضرة، فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة ، كما تكونت و وجدت كل أمم الدنيا، و لهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال، و لها وحدتها الدينية و اللغوية، و لها ثقافتها الخاصة و عوائدها و أخلاقها بما فيها من حسن و قبيح، شأن كل أمة في الدنيا.ثم أن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست فرنسا، و لا يمكن أن تكون فرنسا، و لا تريد أن تصير فرنسا،و لا تستطيع أن تصير فرنسا و لو أرادت، بل هي أمة بعيد عن فرنسا كل البعد في لغتها و في أخلاقها، و في عنصرها و في دينها،لاتريد أن تندمج.... » (40).

و خاطب الشباب أثناء الاحتفال الذي أقامته جمعية الحياة بقسنطينة سنة1939 بقوله:«إني أعاهدكم على أنني اقضي بياضي على العروبة و الإسلام ، كما قضيت سوادي عليهما،إنها لواجبات...و إنني سأقصر حياتي على الإسلام و القرآن ، و لغة الإسلام و القرآن » (41).

و بدورها صحافة العلامة الشيخ إبراهيم أبو اليقظان لم تتوان في مناهضة سياسة فرنسا المستهدفة للشخصية الجزائرية،مبرزة مقوماتها اللغوية و الدينية و التاريخية العريقة المميزة لها عن شخصية الغاصب المحتل ، و دعوة الشعب الجزائري للتمسك بالعروبة و الإسلام لتحصينهم من المسخ الحضاري الإستعماري المرتكز أساسا على الفرنسة و التجنيس و الإدماج و التنصير(42)،موظفة أسلوب الخطابة في جل مقالاتها المتمحورة حول الهوية الوطنية،بهدف إلهاب الحماس القومي لدى الجزائريين و من ثمة توعيتهم و استنهاض هممهم (43).

وفي سياق الدفاع عن اللغة العربية كان الكتاب و الصحفيون ينشرون مواد أدبية و علمية و تعليمية و معرفية متنوعة من شعر و نثر وخطب و قصص و مسرح و تاريخ و جغرافيا و علوم متعددة ...إلخ كلها منشورة باللغة العربية (44)للتدليل على أهميتها و مكانتها و أمجادها و عراقتها، و بالتالي صيانتها و الحيلولة دون اضمحلالها، و ضمان استمرار وجودها

و عن أهمية هذه الصحافة في مجال بلورة الوعي الوطني، كتب الأستاذ الجزائري عبد الملك مرتاض قائلا:«آثر الكتاب الجزائريون الصحف على الكتب أيضا لجنوحهم إلى توجيه الشعب الجزائري و هديه إلى الصراط السياسي السوي.فكانت السياسة في الحقيقة مصدرا لكل شيء، فالكاتب حين كان ينادي بترسيم اللغة العربية في الجزائر، إنما كان يخوض في السياسة، و حين كان يطالب بفصل الدين عن الدولة، إنما كان يسعى إلى غاية سياسية، و حين

كان يفضح النوايا الإستعمارية في محاربة التعليم العربي ن و الصحافة العربية، ورجال الإصلاح إنما كان يلقي بنفسه في خضم السياسة الخالصة» (45).

و في هذا الصدد أشادت إحدى الدراسات الأكاديمية بالدور النضالي الذي أدته الصحافة الإصلاحية في الدفاع عن الهوية الوطنية بشقيها اللغوي و الديني بقولها: «...و قد تميزت هذه الصحافة بمحاربتها الشديدة لخطط الإستعمار الفرنسي التي كانت تهدف إلى غزو الشعب الجزائري ثقافيا و حضاريا،فقاومت الاندماج و التجنس و التبشير و نددت بالعملاء و بالمتفرنسين المغتربين عن حضارتهم و تراثهم،و دعت إلى التمسك بالأصالة و بالهوية الوطنية... » (46).

و نتيجة للدور النضالي الذي أصبحت الصحافة العربية تؤديه لجأت الإدارة الإستعمارية إلى التضييق عليها و اضطهاد كتابها و صحفييها

إن الإرهاب الاستعماري لم يمنع كذلك العلماء و المعلمين الأحرار من نشر التعليم العربي الحر و اللغة العربية لاسيما في المناطق النائية و البعيدة عن أنظار العدو،مساهمين بذلك في محاربة الأمية و الجهل ومقاومة سياسة التجهيل المفروضة من قبل المحتل على الشعب الجزائري، وتمكنت بمرور الوقت من تكوين أجيال مثقفة ثقافة عربية إسلامية اضطلعت بدورالتعليم و التربية(47)، و من ثمة خدمة النضال الوطني التحرري. (48).

و أشاد الأستاذ الجزائري عمار هلال بالدور الريادي الذي قامت به مدارس التعليم العربي الحر في خدمة اللغة العربية، قائلا: «...إن المدارس الحرة العربية التي أنشئت بفضل العلماء المسلمين قد بذلت جهودا كبيرة في الحفاظ على اللغة العربية و بعثها من جديد...لقد كان الجزائريون حريصين على إرسال أبنائهم إلى المدارس الحرة العربية ليحصنوا بالتربية العربية الإسلامية و بذلك

لم يستطيع الإستعمار النيل منهم و تجريدهم من شخصيتهم و عروبتهم... » (49).

الخاتمة: من خلال دراستنا للموضوع تمكنا من استنتاج الحقائق التالية:

1-إن القوانين الكولونيالية موضع الدراسة غير شرعية تتنافى مع القوانين الدولية ،لأنها فرضت جبرا على الشعب الجزائري ذنبه الوحيد أنه ظل متمسكا بهويته الوطنية بشقيها اللغوي و الديني ، رافضا بذلك الذوبان في شخصية المحتل هذا من جهة،و بينت مدى التناقض الذي وقعت فيه ساسة فرنسا بفرضهم لهذه القوانين على الجزائريين ،الذين تعتبرهم الإدارة لاستعمارية و حكومة المتروبول أهالي(أنديجان) فاقدين للمواطنة، عليهم كل الواجبات و ليست لديهم أبسط الحقوق

2- اتسمت هذه القوانين بالطابع العنصري ،من خلال اقتصارها على الأهالي الجزائريين، بينما لم تطبق على الأجانب المستوطنين على مختلف أصولهم و جنسياتهم بالجزائر ، بل تمتعوا بكل الحريات و حقوق المواطنة.

3-إن الأعمال التي قامت بها فرنسا لطمس الثقافة الوطنية عامة و اللغة العربية خاصة هي في حد ذاتها جرائم ارتكبتها هذه الأخيرة ضد الهوية الوطنية للشعب الجزائري، لذلك يجب تجريم هذه الدولة و إدانتها

4-إن إدراك فرنسا الاستعمارية لأهمية اللغة العربية كلغة القرآن و كمقوم أساسي للهوية الوطنية ،ووسيلة فعالة في تأجيج روح المقاومة لدى الجزائريين هو الدافع الأساسي لمضي فرنسا قدما في توظيف شتى الوسائل للحيلولة دون القضاء على كل ما يرمز لهذه اللغة و يساهم في تطويرها، و انتشارها عبر كافة أرجاء الوطن

5-الدورالنضالي الكبير(البطولي) الذي أدته النخبة الإصلاحية الجزائرية و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الدفاع و الحفاظ على اللغة العربية

باستماتها في المقاومة الثقافية الوطنية لسياسة المسخ الاستعمارية،لذلك يجب الإشادة بالمعركة الحضارية التي خاضتها النخبة و الجمعية في سبيل الحفاظ على الوجه العربي و الإسلامي للجزائر

الهوامش:

1- بوعلام نجادي،(2014)،الإستعمار الفرنسي في الجزائر،زمن المجازر،حقبة التحريق،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، ص ص208-212

2-عمار هلال،(1981)،مقومات الثقافة الجزائرية،مجلة الجيش،العدد209،الجزائر،أوت 1981، ص ص 45-46

3-مراد بوعباش(2013)،منظومة التعليم في الجزائر بين الفعل الإستعماري و تأصيل و تحصين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،مجلة الباحث، العدد8، الجزائر،جانفي-جوان2013،ص261

4-يحي بوعزيز،(2009)،سياسة التسلط الإستعماري و الحركة الوطنية الجزائرية من 1830 إلى 1954،و يليه:السياسة الإستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري(1830-1954)،عالم المعرفة للنشر و التوزيع،الجزائر،ص51

5-لاستزادة في الموضوع، راجع:جمال قنان،(2009)، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الإستعمار، المجلد 6،منشورات وزارة المجاهدين،الجزائر، ص ص90-108

6- الذي حضر على الجزائريين مباشرة التعليم باللغة العربية دون الحصول على رخصة، و من أهم الشروط التي حددها هذا القرار هي :((اقتصار تعليم القرآن الكريم على الحفظ و دون شرح آياته سيما المهتمة بالجهاد،و الامتناع عن تدريس تاريخ الجزائر و جغرافيتها و جغرافية العالم العربي و الإسلامي،و أن يكون-المعلم- مخلصا للإدارة الإستعمارية ،أنظر: يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 78

7-عمار هلال ، المقال السابق،ص45

8-لمزيد من الإطلاع،راجع: أبوالقاسم سعد الله،(1983)،دراسات في الأدب الجزائري الحديث،ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص ص 113-120

9-لمزيد من الإطلاع،راجع:تركي رابح،(1971)،نظرة على التعليم العربي في عهد الإحتلال، مجلة الجيش،العدد83،الجزائر، 1971/2/3، ص ص 29-31
10-محمد صالح خرفي،(2007)،تجربة الصحافة الأدبية في الجزائر(مجلة آمال نموذجا)،دار النشر دحلب، الجزائر ، ص ص 21-24
11- للتوسع في هذا الموضوع، أنظر:محمد ناصر(2006)، ،الصحف العربية في الجزائر من 1847 إلى 1954،مطبعة الفنون الجميلة، الجزائر، ص ص147-197
12-تأسست جمعية((علماء)) في 15 سبتمبر 1932 بمدينة الجزائر، و برئاسة المولود بن الصديق الحافظي الأزهري(1895-1948).أنظر:أبو القاسم سعد الله(2005)، تاريخ الجزائر الثقافي(1830-1954)، م3 ،ج5-6، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص261
13- أبو القاسم سعد الله، أبو القاسم سعد الله،(1992)،الحركة الوطنية الجزائرية،ج3،دار الغرب الإسلامي،بيروت، لبنان، ص ص 21-22
14-عمار هلال(1980)،تشبث الجزائريين بثقافتهم و لغتهم العربيتين عبر العصور عامة و خلال عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر خاصة،مجلة الجيش العدد199 الجزائر اكتوبر 1980 ص 36
15-نفسه، ص 36
16- أبو القاسم سعد الله،المرجع السابق،ج3، ص 26
17-نفسه،ص ص91-94
18-الزبير سيف الإسلام(1985)، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج 6، المؤسسة الوطنية للفنون الجميلة، الجزائر، ص ص 76-83
19-claude collot(1969) ,le régime juridique de la presse musulmane algérienne(1881-1962), in, revue algérienne des sciences juridique économiques politiques ,volume, vi, n2,juin1969,p373
20- محمد حمدان وآخرون،(1995)، الموسوعة الصحفية العربية، ج4، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، تونس ،ص 73
21- للتوسع في الموضوع،أنظر: عبد السلام عكاش(2006)، نظرة الصحافة الإستعمارية لإنتفاضة 8ماي 1945، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر2، ص ص12-29

22- أبو القاسم سعد الله،المرجع السابق،ج3، ص ص 23-24
23 – عمار هلال(1980)،المقال السابق
24-اندلعت هذه الحوادث اثر قدوم الجندي اليهود خليفة إلياهو وهو في حالة سكر الى مسجد سيدي الأخضر بقسنطينة و شتمه للمسلمين أثناء استعدادهم للصلاة ،ثم أقدم على التبول على حائط المسجد مستفزا بذلك شعورالديني للمسلمين الذين توقيفه عن حده، لتتطور الأمور بعد ذلك الى اشتباكات عنيفة دموية بين مسلمي المدينة و يهوديها، جرت وقائعها خلال الفترة الممتدة ما بين 3 و11 أوت 1934،مخلفة جرحى و قتلى و خسائر مادية كبيرة لكلا الطرفين.للتوسع في الموضوع راجع :عبد العزيز فيلالي، اعتداء اليهود على أهل قسنطينة1934 أبعاده الصهيونية و رد الفعل الوطني و العربي(دار الهدى عين مليلة الجزائر، ص ص (45-56)
25- عمار هلال(1980)،تشبث الجزائريين بثقافتهم و لغتهم العربيتين عبر العصور عامة و خلال عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر خاصة،مجلة الجيش العدد201 الجزائر ديسمبر 1980 ص 50
26- أبو القاسم سعد الله،المرجع السابق،ج3، ص ص 23-25
27-المرجع ،نفسه،ص 27
28-عمار هلال(ديسمبر 1980) المقال السابق ص 50
29- أبو القاسم سعد الله،المرجع السابق،ج3، ص 33
30-جريدة البصائر(1938)،(لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)،العدد107،قسنطينة، 1938/4/8 ص 1
31-- أبو القاسم سعد الله،المرجع السابق،ج3، ص 33
32- عبد الحميد بن باديس(1938)،يا لله للاسلام و العربية في الجزائر و كل من يعلم بلا رخصة يغرم ثم يغرم و يسجن،جريدة البصائر، العدد107،قسنطينة، 1938/4/8 ص1
33- عمار هلال(ديسمبر 1980) المقال السابق، ص 50
34- أبو القاسم سعد الله،المرجع السابق،ج3، ص 33
35- عمار هلال(ديسمبر 1980)، المقال السابق ،ص 50
36- أبو القاسم سعد الله،المرجع السابق،ج3، ص23

37-عبد الحميد بن باديس، المقال السابق،ص1
38-جريدة البصائر(1938)،العدد114،قسنطينة 1938/5/20 ص 1
39-جريدة البصائر(1938) العدد110 قسنطينة 1938/4/22 ص3
40-عبد الحميد بن باديس(1936)،كلمة صريحة، مجلة الشهاب، ج1، م12، قسنطينة،أفريل 1936، ص43-44
41- عبد الحميد بن باديس(1939)، مجلة الشهاب، ج7 ،م15، قسنطينة ، ص 346، و أنظر أيضا:عبد الرحمان شيبان(2009)، مقدمة مجلة الشهاب،دار المعرفة، الجزائر،ص30
42- محمد ناصر(2006)،أبو اليقظان و جهاد الكلمة،منشورات قصر المعارض،الجزائر، ص ص50-56 .و انظر أيضا فهرس موضوعات الجرائد اليقظانية حول هذا الموضوع- الدفاع عن اللغة العربية- في المرجع نفسه
43- محمد ناصر(1978)،المقالة الصحفية الجزائرية،نشأتها،تطورها،وأعلامها من1903 إلى 1931،م2،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،ص ص 163-167
44- عبد الملك مرتاض(1975)،أثر الصحافة العربية بالجزائر في النهضة الوطنية، مجلة الثقافة،العدد 28،الجزائر أوت/سبتمبر 1975، ص ص -101-111
45- نفسه، ص 109
46- أنظر:المركز الجزائري للإعلام و الثقافة(1984)،الصحافة الجزائرية بين الأمس و اليوم، المركز الجزائري للإعلام و الثقافة، بيروت،لبنان،ص 16
47-عمار هلال(ديسمبر 1980)، المقال السابق ،ص 50
48-عبد الملك مرتاض، المقال السابق،ص ص109-110
49- عمار هلال(ديسمبر 1980)، المقال السابق ،ص 50

قائمة المراجع:

-أولا:المؤلفات:

1- أبوالقاسم سعد الله،(1983)،دراسات في الأدب الجزائري الحديث،ط1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب
2- أبو القاسم سعد الله(2005)، تاريخ الجزائر الثقافي(1830-1954)، م3 ،ج5-6،لبنان، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

3- أبو القاسم سعد الله، أبو القاسم سعد الله،(1992)،الحركة الوطنية الجزائرية،ج3،لبنان ،دار الغرب الإسلامي.
4- المركز الجزائري للإعلام و الثقافة(1984)،الصحافة الجزائرية بين الأمس و اليوم،لبنان، المركز الجزائري للإعلام و الثقافة، بيروت.
5- بوعلام نجادي،(2014)،الإستعمار الفرنسي في الجزائر،زمن المجازر،حقبة التحريق،الجزائر،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية.
6- جمال قنان،(2009)، التعليم الأهلي في الجزائر في عهد الإستعمار، المجلد 6،الجزائر،منشورات وزارة المجاهدين
7- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين(1938)،جريدة البصائر،(لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)،العدد107،قسنطينة.
8- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين(1938)، جريدة البصائر، العدد110 قسنطينة
9-جمعية العلماء المسلمين الجزائريين(1938)، جريدة البصائر،العدد114،قسنطينة
10- عبد الحميد بن باديس(1939)، مجلة الشهاب، ج7 ،م15، قسنطينة
11- عبد الرحمان شيبان(2009)، مقدمة مجلة الشهاب،الجزائر،دار المعرفة.
12- عبد العزيز فيلالي(دون تاريخ)، اعتداء اليهود على أهل قسنطينة1934 أبعاده الصهيونية و رد الفعل الوطني و العربي،الجزائر، دار الهدى عين مليلة
13- محمد ناصر(2006)، ،الصحف العربية في الجزائر من 1847 إلى 1954،الجزائر،مطبعة الفنون الجميلة.
14- محمد ناصر(2006)،أبو اليقظان و جهاد الكلمة،الجزائر،منشورات قصر المعارض
15- محمد ناصر(1978)،المقالة الصحفية الجزائرية،نشأتها،تطورها،وأعلامها من1903 إلى 1931،م2،الجزائر،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع
16- محمد صالح خرفي،(2007)،تجربة الصحافة الأدبية في الجزائر(مجلة آمال نموذجا)،الجزائر،دار النشر دحلب، الجزائر.
17- محمد حمدان وآخرون،(1995)، الموسوعة الصحفية العربية، ج4،تونس، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم.

18-يحي بوعزيز،(2009)،سياسة التسلط الإستعماري و الحركة الوطنية الجزائرية من 1830 إلى 1954،و يليه:السياسة الإستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري(1830-1954)،الجزائر،عالم المعرفة للنشر و التوزيع.
19- الزبير سيف الإسلام(1985)، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج 6،الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون الجميلة.

-ثانيا: الأطروحات:

- عبد السلام عكاش(2006)، نظرة الصحافة الإستعمارية لانتفاضة 8ماي 1945، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر،قسم التاريخ،كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية ، جامعة الجزائر2، الجزائر

-ثالثا:المقالات:

1- تركي رابح،(1971)،نظرة على التعليم العربي في عهد الإحتلال، مجلة الجيش،العدد83،الجزائر ، ص ص 29-31
2- عبد الحميد بن باديس(1936)،كلمة صريحة، مجلة الشهاب، ج1، م12، قسنطينة،أفريل 1936، ص43-44
3- عبد الحميد بن باديس(1938)،يا لله للاسلام و العربية في الجزائر و كل من يعلم بلا رخصة يغرم ثم يغرم و يسجن،جريدة البصائر، العدد107،قسنطينة، ص1
4- عبد الملك مرتاض(1975)،أثر الصحافة العربية بالجزائر في النهضة الوطنية، مجلة الثقافة،العدد 28،الجزائر ، ص 109
5- عمار هلال(1980)،تشبث الجزائريين بثقافتهم و لغتهم العربيتين عبر العصور عامة و خلال عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر خاصة،مجلة الجيش العدد199 ،الجزائر، ص 36
6- عمار هلال(1980)،تشبث الجزائريين بثقافتهم و لغتهم العربيتين عبر العصور عامة و خلال عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر خاصة،مجلة الجيش العدد201 الجزائر ، ص 50
7- عمار هلال،(1981)،مقومات الثقافة الجزائرية،مجلة الجيش،العدد209،الجزائر، ص ص 45-46
8- مراد بوعباش(2013)،منظومة التعليم في الجزائر بين الفعل الإستعماري و تأصيل و تحصين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،مجلة الباحث، العدد8، الجزائر ،ص261

9- claude collot(1969) ,le régime juridique de la presse musulmane algérienne(1881-1962), in, revue algérienne des sciences juridique économiques politiques ,volume, vi, n2,p 373